قمة تورنتو؛ استراحة، لا حلول

ليس من قبيل المصادفة ان تلتقت القمة الرابعة عشرة للدول الصناعية السبع، التي التأمت في تورنتو، في الفترة ما بين ١٩ و٢١ حزيران (يونيو) الماضي، صوب زخم انتفاضة الارض المحتلة، لتعرب، في بيانها السياسي الختامي، عن قلقها العميق ازاء تزايد عدم الاستقرار في منطقة الشرق الاوسط، ولتوضح ان الوضع الحالي في «الاراضي الفلسطينية المحتلة يعد اشارة واضحة لعدم الاستقرار في المنطقة».

وتأكيداً لأهمية تلك الاحداث، بالنسبة الى مصالح الدول الصناعية الكبرى، كتبت صحيفة «التايمز» اللندنية، عشية انعقاد القمة: «ان مجرى الحرب العالمية الثانية قد أظهر لنا، بوضوح، اهمية الشرق الاوسط بالنسبة الى الحلف الاميركي ـ الاوروبي. وفضلاً عن ذلك، فاننا تعلمنا ان تلك المنطقة من اعظم المناطق الحيوية؛ وأهميتها، بالنسبة الينا، لا تقتصر على كونها تقع على خطوط مواصلاتنا الى الشرق، ولكن اصبح من الواضح جداً انه اذا تمركزت قوة كبيرة لاعدائنا في جزء من المنطقة مع امكانيات تحصينها، تحصيناً قوياً، فانها تستطيع السيطرة، فوراً، على قناة السويس وعلى حقول النفط وخطوط الانابيب» (التايمز، ١٩/٦/١٩٨٨).

وعلى هذا الاساس، فان الدول الصناعية، وان كانت متفقة على تلك النظرة، ولكنها لا تزال مختلفة على التفاصيل. فالدول السبع، التي هي الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا وفرنسا والمانيا الاتحادية وايطاليا واليابان، تتفق على وجوب ايجاد اطار للسلام في الشرق الاوسط ، لكنها تختلف في سبل الحل. ان الولايات المتحدة تتصرف، في المنطقة، من منطلق استراتيجي، مستندة، في ذلك، الى قوتها الاستراتيجية؛ اما الدول الاخرى، فانها تتصرف انطلاقاً من حاجتها الى النفط؛ واكثر من ذلك، فان واشنطن تنطلق من كونها قادرة على ان تكون طرفاً في النزاع الدائر في المنطقة، طرفاً يتمتع بامكانات الوسيط الذي يمكن الاعتماد عليه، والتحالف معه، ضمن أية خطة دفاع استراتيجية؛ اما بالنسبة الى الآخرين، فالامر مختلف تماماً؛ ذلك ان «اعتمادهم المزدوج» على العرب، من الناحية النفطية، وعلى الولايات المتحدة، من الناحية السياسية، قد سبب لهم العديد من المتاعب والارباكات.

ولا شك في ان اجراء مقارنة، وتقويم، لدور الدول الصناعية الكبرى في الشهر الماضي مع الوضع الراهن، سيغني النقاش حول آفاق الادوار المتفاوتة لكل منها، الذي ما زالت تسعى اليه المجموعة العربية، كما عبّرت عن ذلك زيارة وفد اللجنة السباعية المنبثقة من جامعة الدول العربية الى بون؛ وكما تعبّر عنه، أيضاً، اشكال التعاطف الاعلامي الاوروبي، والياباني، مع انتفاضة الارض المحتلة.

رفع العتب الاميركي

كانت انطلاقة واشنطن مجسّدة في عزم وزير الخارجية الاميركية، جورج شولتس، على ان يكون فارس حصان الافكار الاميركية وحاملها الشخصي في جولته الرابعة على المنطقة. وتقع الجولة في خانتين: الاولى، امكان التحرك للتمهيد للادارة المقبلة، دون الاضطرار الى الحسم خلال عهد هذه الادارة، مما يرفع عنها شبح الخوف من الفشل؛ والثانية، رفع عتب اهمال ملف الشرق الاوسط، نتيجة مرارته الشخصية من فشله السابق.

الجولة الرابعة تندرج، اذاً، في اطار العزم الاميركي على تسويق المبادرة، واقناع الاطراف المعنية بها؛ فمجرد قيام شولتس بجولة رابعة على المنطقة، في هذه الفترة القصيرة، يمثل ضغطاً على الرافضين للمبادرة الاميركية، بأنه لا يقبل بفشل